مذكرات تيدنا مصدر نادر في تاريخ الجزائر
خلال العهد العثماني

الدكتور عميراوي احميده
جامعة الأمير عبد القادر –قسنطينة

مقدمة

ترك الأسرى الأوروبيون في الجزائر خلال العهد العثماني مادة خبرية عالية القيمة. ومنهم تيدنا الذي كان يتنقل تاجرا بحارا بين إيطاليا ومارسيليا. ووقع في قبضة القرصنة الجزائرية أسيرا، وانتهى به المطاف في الغرب عند الباي محمد الكبير فعينه خزندارا (وزيرا). ثم افْتدَى نفسه وأصبح في حرا حرا،. ولاه نابليون بونابرت في مصر نائب قنصل فرنسا. ووظف في الشؤون الخارجية الفرنسية مستشارا.

فقد عاش حياة ثرية بالأحداث؛ دونها في مذكرات. وقد درسناها، ونأمل أن ننشرها في كتاب مستقل قريب، قد يكون له عنوان هو "**الجزائر في أدبيات الرحلة والأسْرِ**". ونظرا لأهمية هذه المذكرات نحاول أن نقدمها مبدئيا في موضوع يتأسس من أربع نقاط:

1 – ترجمة حياة تيدنا

2 – الجزائر في مصادر الأجانب

3 التعريف بالمذكرات ومحتواها

4– القيمة التاريخية للمذكرات

1 - ترجمة حياة تيدنا

ولد تيدنا (THEDNAT) صاحب هذه المذكرات[1] سنة 1758 في أوزيس (Uzes) من عائلة كاثوليكية ميسورة الحال. و لم تعجبه المدرسة الكاثوليكية ففر منها وابتعد عمن حاولوا إعداده للرهبنة. فجنح إلى الحياة العسكرية وانضم إلى فيلق في كورسيكا. لكنه كره الحياة العسكرية وتخلص منها. ولجأ إلى الحياة المدنية فعمل كاتبا لوكيل مقاطعة. ولكن حبّه للأسفار قاده نحو ليفورن وقديسا (Cadix) حيث عاش في مترل أحد أقرباء أبيه.

مارس تيدنا مهنة تجارة البحر. وخلال رحلة بحرية كان ينقل خلالها براميل الخمر من مالاقا إلى مرسيليا على متن سفينة إسبانية فوقع في قبضة قراصنة البحر الأتراك العثمانيين. ومن حسن حظه أنه اشتراه باي معسكر الذي كان في حاجة ماسة إلى شخص متعلم ومخلص لإدارة شؤونه.

ونظرا لما كان يملك تيدنا من إمكانيات من حيث التكوين العلمي والدراية لكثير من العوامل المحركة للحياة، فقد فاز برضى الباي الذي لم يبخل عليه جزيل العطاء والحظوة؛ إذ خلال ثلاثة أعوام وسبعة أشهر قضاها أسيرا وحرا في نفس الوقت أصبح تيدنا جزندار باي الغرب محمد الكبير. وقد رافق تيدنا سيده في كل تنقلاته[2]. وعلى هذا الأساس فمذكراته تعد قيمة تاريخية عالية.

ومن هنا يبدأ فصل من فصول قصة تيدنا، فصل النضال والإصرار؛ نضال تيدنا

1- مذكرات تيدنا غير المطبوعة محفوظة في المكتبة الوطنية بباريس، مخطوطات ف.أ فرنسا رقم 10.877. وتحتوي على 140 صفحة.

2- خاصة أثناء الرحلة المشهورة برحلة باي الغرب محمد الكبير

من أجل حريته وعودته إلى أوروبا. وإصرار الباي على التمسك به وعدم قبول فديته.

وكيفما كان الحال فقد أكسبته مغامراته ومعاملاته مع أهل الجزائر أشياء كثيرة قلما وجدنا غيره قد حصل عليها؛ إذ كان يجيد أكثر من لغة كالأسبانية والإيطالية وثقافتيهما، ثم أضاف إلى رصيده معالم اللغة العربية. وقد سهل عليه كي يكتب مذكراته هذه.

وبعد حصوله على حريته وعودته من الجزائر عام 1783 اشتد به الحال فمرض، ووجد نفسه في إحدى مستشفيات زوريخ (Zurich) حيث كتب مذكراته هذه سنة 1785.

وقد أفاد تيدنا رجال السلطة الفرنسية بمعلومات تتعلق بأحوال الجزائر وبكيفية احتلالها إذ قدم تيدنا مذكرة عام 1802إلى تاليران ذكر فيها أعمال القراصنة ووحشية "البربريين". وبين أن سلطة الداي والبايات الثلاث قائمة على أقلية من العسكريين ذوي الامتيازات (قطاع طرق حقيقيون ومخربو البلاد) وأن القوّة يدعمها الداي المستبد في الجزائر وقائمة على جُبنِ الدول التجارية المستعدة دائما لدفع الإتاوة[1]. وأن حملة عسكرية قوية ستجعلها سيدة البلد ولا تكلف شيئا للحكومة، لأن كنز الداي والاستيلاء عليه يغطي كل المصاريف.

اقترح إرسال جيش إلى ميناء تنس ثم محاصرة الجزائر بالاتفاق مع الأسطول البحري ليتمكن من فرض أمر الواقع على داي الجزائر كي يسلم الذهب وكل

1- كانت دول كثيرة تدفع الضرائب لإيالة الجزائر، إذ قدرت هذه الضرائب عام 1822 بـ 126 ألف بياستر أي بنسبة 29% من مداخل ميزانية الخزينة الجزائرية. ينظر: مذكرات وليام شالر، تعريب إسماعيل العربي، ش.و.ن.ت. الجزائر 1982، ص - ص.69-70.

المراكب الحربية، فتتمكن فرنسا بعدها من جعل الجزائر دولة متحضرة وتجارية[1].

نشرت نسخ عديدة من هذه الوثيقة، وحللت في كتاب شارل رو[2]. وبرغم أن الحملة العسكرية لم تتم في عهد نابليون بونابرت إلا أن ما تضمنته المذكرة من المعلومات كانت مفتاحا تمكنت به السلطة الفرنسية من الدخول إلى أبواب الجزائر العاصمة عام 1830. كانت هذه المذكرة وغيرها عاملا مهما وفرت معلومات استخبارية.

وبرغم ما قدمه تيدنا من نشاط ومغامرات لكنه عاش أواخر حياته فقيرا. خاصة بعد أن أحيل على التقاعد سنة 1825.

2 – الجزائر في مصادر الأجانب

دراسة تاريخ الجزائر بداية من القرن السادس عشر يكون بالاعتماد على ما كتبه الأوروبيون؛ رحالة وأسرى ودبلوماسيون، ورجال دين. وكذلك على ما كتبه الأتراك العثمانيون من حكام ومفتيين. وعلى ما كتبه العرب رحالة وعلماء.

فيما يتعلق بما كتبه الأوروبيون يتبين أن صورة الجزائر لم تكن واضحة لدى الأوروبيين حين كانوا يطلعون المصادر العربية والتركية العثمانية. وبفضل ماكتبه الأوروبيون بأنفسهم اتضحت صورة الجزائر. إذ سبق لنيكولاي (Nicolay) أن زار

1- فكانت هذه المذكرة الأصل في البحوث الأولى التي قامت بها وزارة الحربية في إمكانية القيام بحملة للاستيلاء على الجزائر. يراجع:

Roux (Ch), <u>France et Afrique du Nord avant 1830,</u> Félix Alcan, Paris P. 543

2 - Roux (Ch), <u>France et Afrique du Nord avant 1830,</u> 1932, p. 413.

الجزائر عام 1551 وهو من الجغرافيين. وكان من أفراد حاشية الملك هنري الثاني، حيث قدم وصفا لمدينة الجزائر وبجاية وعنابة وهو في طريقه إلى اسطانبول[1].

وقام الدكتور شو (Shaw)[2] الإنجليزي برحلة إلى الجزائر (1720-1732)[3]. وزار جان أندري بايسونال (Peyssonnel) الشرق الجزائري خلال عامي 1724 و1725[4]. وكذلك بريس[5]. وأيضا فرنثيسكو خيمينيث (مولود عام1685)[6]. وتعد

1- ألف كتابا بعنوان:

Les quatre premiers livres des navigations orientales, Lyon 1568

2 - ترجمت هذه الأعمال إلى الفرنسية عام 1743 بعنوان:

(Voyages de Monsieur Shaw dans la Régence d'Alger)

وترجمت عام 1930 وبعنوان:

Shaw (docteur), Voyage dans la Régence d'Alger, traduit de l'Anglais par Mac Carthy, Paris 1830.

3- لمزيد من المعلومات يراجع كتابنا: علاقات الشرق الجزائري بتونس أواخر العهد العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي، مطبعة البعث، 2002، ص- 15 وما بعدها.

4- Peyssonnel, et, Desfontaines, Relation d'un voyage dans les Régences de Tunis et d'Alger, 2 t, Gide, Paris 1838.

5 - Bruce (J.), Voyages aux sources du Nil, pendant les années 1768-1772, traduit par Castera, Paris, 1790-1791, 5 volumes. (cité par Marcel Emerit, in. R.A. année1948)

6- أهمية أعمال خيمينيث ليست في حجم المادة التي تركها وإنما في ما تضمنته من معلومات دقيقة بحكم مركزه الديني ووظيفته الرسمية الدينية التي تولى من خلالها مداواة الأسرى الأسبان وافتدائهم، والتفاوض مع رجال السلطة العثمانية في كل ما يتعلق بأمرهم. إذ هو الذي أسس مستشفى سان خوان دي ماتا في تونس لهذا الغرض. لمزيد من المعلومات يراجع: ميكال =

أعمال فانتير دي بارادي ذات قيمة عالية. وقد نشرت في المجلة الإفريقية[1]. وزار العالم فانتير دي بارادي الجزائر عام 1789[2]. أما أعمال هايدو[3] فهي ذات قيمة علمية راقية؛ قدمها باللغة الأسبانية عام 1608 وترجمت إلى الفرنسية[4]. وقام قبله تاسكا الإيطالي برحلة مرافقا السفير الفرنسي دي بريف(De Brèves) من مصر إلى الجزائر عام 1606[5]. وقدم من جهته لوجيه دي تاسي دراسة قيمة عن الجزائر ونشرت عام 1725[6]. ويعتبر ما كتبه الألماني سيمون بفايفر (ولد سنة 1810) عن الجزائر من

=دي إيبلزا والهادي الوسلاتي، "ملاحظات أب أسباني يزور وهران في عهد مصطفى بوشلاغم"، المجلة التاريخية المغربية، عدد 12، تونس 1978، ص-ص. 191-201

1 - لمزيد من المعلومات يراجع:

Venture De Paradis, « Alger au 18è siècle », présentation de Fagan (E.), in. R.A. no 39, année 1895, p-p. 265-314. et, R.A. no 40, année 1896, p-p. 33-78, 256-277.

2- يبدو جانب من هذه الإحصائية غير دقيق بالنظر إلى تناسب عدد مساكن اليهود ألـ 180 مع عددهم البالغ 7000 فرد، لأنه على أساسه يكون قرابة 40 فردا في البيت الواحد.

3- لمزيد من المعلومات يراجع:

Fray diego de Hédo, « De la captivité à Alger », traduction de l'Espagnole par Moliner-Violle, in. R.A. n° 39, année 1895, p-p.54-103, 199-258, 321-367. n° 40, année 1896, p-p. 5-32. no 41, année 1897, p-p. 153- 184.

4 -R.A. année 1880

5- لمزيد من المعلومات يراجع: أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج. 3، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1990، ص-ص. 174-176.

6- لمزيد من المعلومات يراجع:

Laugier de Tassy, Histoire du Royaume avec l'état présent de son gouvernement, Amesterdam, 1725.

المصادر الهامة في تاريخ الجزائر أواخر العهد العثماني، وبداية الاحتلال الفرنسي[1].

ونفس الشيء تقريبا حدث مع مواطنه الألماني فندلين شلوصر الذي بقي مدة 5 سنوات في الأسر حيث فك سبيله 1837[2].

وقد اهتم **الروس** والأمريكيون أيضا بالجزائر؛ إذ ألف ضابط روسي كتابا دون فيه معلومات قيمة عن الجزائر عام 1787[3].

أما الأمريكيون فقد كتب كثيرون ومنهم القنصل وليام شلر (1816-1824) الذي ترك لنا مادة تاريخية عالية القيمة عن الجزائر وعن حملة إكسماوث البحرية ضد الجزائر عام 1816[4].

وقد وقع كاثكارت وهو أمريكي أسيرا بعد الاستيلاء على أول سفينة أمريكية

1- لمزيد من المعلومات يراجع: سيمون بفايفر، مذكرات أو لمحة تاريخية عن الجزائر، ترجمه من الألمانية، أبو العيد دودو، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر1974.

2- لمزيد من المعلومات يراجع: فندلين شلوصر، قسنطينة أيام أحمد باي (1832-1837)، ترجمه من الألمانية، أبو العيد دودو، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1980

3- لمزيد من المعلومات يراجع:

Marcel Emerit, « Description de l'Algérie en 1787, par l'officier russe Kokovtsov », in. R H M, n° 4, Tunis 1975, p-p 209-212

4- لمزيد من المعلومات يراجع :

Shaler William, Sketches of Algiers, Boston, Century 1826

وقد تفضل إسماعيل العربي بترجمة مذكرات وليام شلر إلى اللغة العربية ونشرها الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر عام 1982.

للتعرف عن العلاقات الأمريكية الجزائرية يراجع: أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج. 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1990، ص-ص.281- 311

في جوياليا عام 1785. وهو الذي ساهم في وضع اتفاقية أبرمت بين الجزائر والولايات المتحدة الأمريكية[1].

وكتب كثير من الإنجليز من جهتهم عن الجزائر، نذكر منهم مورقان الذي عاش سنوات عديدة في الجزائر[2].

وزار كذلك الجزائر المؤرخُ الأسباني مارمول[3]. ومكث رهباندر في مدينة وهران عام 1788 أيام الاحتلال الأسباني لها، وهو قنصل ألماني، حيث خصص جزءا من مذكراته للحديث عن الإدارة التركية. وعن الحياة الاجتماعية الجزائرية[4].

وتتبين من خلال هذه الرحلات والمذكرات أهمية مدينة الجزائر في ذاتها، وأهميتها في نظر الأجانب، لهذا كانت تتعرض باستمرار إلى هجمات بحرية من دول أوروبية مختلفة. هذا عن الرجال الأسرى، هل يمكن الحديث عن نساء أوروبيات أسيرات في الجزائر؟

جاء في دراسة أبي العيد دودو أن "امرأة سويدية عاشت في الجزائر مكرمة

1- لمزيد من المعلومات يراجع: مذكرات أسير الداي كاثكارت قنصل أمريكا في المغرب، ترجمة إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1982.

2- لمزيد من المعلومات المستفيضة عن هذا الكتاب الذي طبع عام 1731 في لندن يراجع: أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج. 1، ص-ص. 313-327

3- وترك لنا مادة خبرية عالية القيمة للتعرف عنها ينظر:
Marmol Carvajal, Description générale de l'Africa, traduit en Français par M. Perrot d'Alblaucourt sous le titre: L'Afrique de Marmol,

4: - ترك مذكراته بعنوان:
Rehbibder Von, Nachrichten und Memer Kungen über den Algierscben Staat, Altona 1789-1800.

مبجلة، انتقلت إلى إستامبول قبل الاحتلال (الفرنسي) بمدة قليلة"[1]. وقد أفادنا ميشال دي غراس[2] (Michel de Grèce) في روايته "ليلة القصر" بمعلومات قيمة على لسان فتاة لم يتجاوز عمرها 15 سنة هي من جزيرة تابعة للنفوذ الفرنسي وقعت في قبضة "القرصنة" الجزائرية، فأهداها داي الجزائر إلى السلطان العثماني في أسطنبول، حيث حكت حياة الأسر في قصص مشوقة، وفي غاية من الغرابة والدقة.

3- التعريف بالمذكرات ومحتواها

كتبت مذكرات تيدنا في زوريغ عام سنة 1785 على شكل اعترافات منه. إذ عرض فيها بشجاعة أخطاءه دون أن يلتمس الرأفة من أحد. وبرغم ما عرفه من مغامرات كادت تقضي على حياته فقد ظل شجاعا نشيطا في عمله ومرتبطا دائما بدينه وبعائلته وبوطنه رغم حمية دمه التي دفعته إلى أفعال طائشة متعددة كان يدفع ثمنها باستمرار.

ومن خلال القراءة لهذه المذكرات يتبين أن تيدنا لم يكن كاتبا لامعا، و لم يشتهر في أي شيء بارز. ولكنه كان من بين أولئك الذين حاولوا فهم العالم الإسلامي. لذلك فإن رواية مغامراته في بلاد الجزائر تعد وثيقة ثمينة بالنسبة لمؤرخ الجزائر خلال الحكم التركي العثماني. مثلما تذكّرنا مذكراته بروايات كبار الأدباء.

وجاء ت هذه المذكرات مثلما عرضها مارسيل إمريت[3] في أربعة فصول هي:

1- الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان. المرجع السابق، ص. 9

2 - Michel de Grèce, La nuit du serial, Olivier Orban, 1982

3- قدم ودرس مارسيل إمريتهذه المذكرات بعنوان: =

- مذكرات تيدنا (Mémoires de THEDENAT)
- في قصر باي معسكر (A la cour du Bey de MASCARA)
- مغامرات الحريم (Aventure du Harem)
- عقبات في طريق الحرية (Les difficultés d'une libération)

وقد عرض في هذه المذكرات رواية أسره. وبيعه في السوق مثلما تباع الحيوانات. ثم كيف اشتراه يهودي[1] ثم باعه لوكيل محمد الكبير باي معسكر. وصار مدير أعماله برتبة خزندار (وزير)، فكانت له مغامرات في القصر مع الحريم. وعلاقات متنوعة مع علية القوم الذين لهم علاقة ببلاط معسكر. وكيف تمكن من إدارة شؤون بايليك معسكر، خاصة أثناء الرحلة لجمع الضرائب، أو أثناء الرحلة إلى الجزائر العاصمة لتأدية الدنوش. وكيف تمكن من افتداء نفسه بإصرار كبير. ولم يتنحى عن دينه المسيحي بالرغم من الوعيد والتهديد. ثم عاد إلى فرنسا بعد أن انتصر على كل العراقيل التي واجهته. بعدها عرض هذه الأحداث كلها بأسلوب مشوق ومثير. ونأمل أن نقدم هذا بشيء من التفصيل في كتاب مستقل. مثلما نلح على القراء وبخاصة الباحثين من الطلبة الاطلاع على هذه المذكرات.

4 القيمة التاريخية للمذكرات

=« Mémoire de Thédnat, écrites à Zurich en 1785 », in. R.A. année 1948, p-p. 157-183, 330-363-

1- من الغرابة بمكان وحسب ما هو معلوم أن يهود الجزائر ليس من حقهم المتاجرة بالعبيد، ولكن تيدنا يؤكد عكس هذا.

من خلال محتوى هذه المذكرات تتأكد حقائق كثيرة منها: تكاد تكون مذكراته الوحيدة التي تعطينا معلومات عن المنطقة الغربية من الجزائر في القرن الثامن عشر، ولهذا فهي جديرة أن تكون موضوع بحث معمق.

وتتبين قيمة هذه المذكرات فيما قدمه تيدنا من معلومات عن حياة المجتمع الجزائري في الداخل بعيدا عن الساحل، على خلاف ما هي عادة تجار الوكالة الأفريقية والرحالة الأوروبيين الذين دونوا معلومات عن المدن الساحلية فقط دون أن يمدونا بمعلومات عن الداخل. لكن تيدنا عاش فترة تزيد على ثلاث سنوات ونصف في بايليك الغرب (معسكر) حيث شغل هناك منصبا ساميا؛ الأمر الذي ساعده على تقديم معلومات فريدة من نوعها.

وبحكم أن تيدنا كان أسيرا وناقص التجربة لذلك لم يلتقط معلومات محددة وموسعة عن الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية للأهالي، ومع ذلك يبقى له الفضل في تعريفنا بأشخاص لم يحدد صورهم أي شاهد عيان آخر؛ سواء من الرحالة أو الأسرى، خاصة حين عرفنا بشخص محمد الكبير باي معسكر الذي أخذ وهران من الأسبانيين.

لذلك فالمؤرخ الذي اكتفى لحد الآن بجمع معلومات محدودة عن الجزائر في القرن الثامن عشر هو محظوظ حين يطلع على رواية تيدنا الذي كان صادقا في ذكر الحقيقية الدقيقة من دون أن يكون هادفا في إثراء نفسه أو تقديم خدمة في وقتنا الحالي بعد أكثر من قرنين وعقدين من الزمن.

إن الباي محمد الكبير لم يُعرف لحد الآن سوى عن طريق كتاب بالعربية مثل الجماني[1]. وعلى ضوء ما ورد من معلومات في مذكرات تيدنا يدفعنا الشك في نقص ما قدمه أحمد بن محمد بن علي بن سحنون من معلومات، على الرغم من أنه يعد من بين المقربين للباي حين بالغ في وصف محاسن سيده. ولكن ديفونتين ذكر هو الآخر ذكاء هذا الباي والرقة التي كان يعامل بها العبيد المسيحيين الذين فضلوا أن يحيطوا به، وهو ما أكدته رواية تيدنا التي يفهم منها أن باي معسكر كان رجلا كريما وعادلا وشديد العنف مع اللصوص، وصارما، وليس لين الجانب في حالة ما إذا حصل تعدي على الآداب الإسلامية. وهو نشيط في الحروب؛ الشيء الذي لم يمنعه من إدارة الإنتاج والتجارة وحتى القضاء. وكان تيدنا قد تأثر كثيرا بأبهة بلاط معسكر حيث تظهر الحياة سهلة. فتشرب فيها الخمور الجيدة التي يبيعها العبيد تحت الأروقة. ولم يمتنع محمد الكبير من شربها.

والشيء الذي يجب التأكيد عليه هو انعدام التعصب لدى هذا الباي، فقد سبق له أن زار ليفورن ومرسيليا، وعلى أساسها تمكن من تعلم اللغة الفرانكية والإيطالية. وهو كثير السعي في البحث عن مساعدة المسيحيين لأنه يقدر فيهم إجادتهم للتسيير

---

1 - لمزيد من المعلومات ينظر :

Gorguos (A),:

- « Notice sur le Bey d'Oran », in. R.A. n° 2, année 1857-58, p-p. 28-46, 223-241.

- « Expédition de Mohammed El-Kebir, Bey de Mascara, dans les contrés du sud », R.A. n° 4, année 1859-60, p-p. 347-357

الإداري. ويضيف إلينا تيدنا معلومات عن السير الجيد لجهاز البريد الذي كان يعمل بإحكام في عهد الداي، بدليل أن تيدنا تمكن من الاتصال بعائلته.

وذكر تيدنا أنه كان يشرف على تصدير الحبوب والصوف والشمع من مستغانم وهو الميناء المهم للبايلك لأن وهران كانت لا تزال في يد الأسبان. وذكر أنه في بعض السنوات كانت تصل الشحنات المصدرة إلى عشرة مراكب فرنسية وإنكليزية. ويقول لنا فانتور دي باردي[1] إنه في سنة 1787 شحن من تلك المنتجات ستة وعشرون مركبا من ميناء أرزيو مما يدل على تطور كبير في الحياة الاقتصادية في بلد يتأسف فيها تيدنا على خراب سهولها الخصبة الشاسعة المحرومة من ري المياه.

ويؤكد تيدنا رأيا مهما يتعلق بقيمة الدنوش السنوي التي كان يقدمها باي الغرب إلى الداي. وتيدنا في هذا الرأي أقل تحديدا من فانتور داي بارادي الذي حدد قيمة هذا الدنوش ب 666.000 فرنك في العام.

وقد ذكر الشريف الزهار أن الباي عندما يأتي بالدنوش يكون مرفقا بتحف وأموال وهدايا كثيرة من الخيل العتاق والعبيد والمصوغ، والأثاث الفاخر محمية بجيش كبير من اتباعه وكبراء النجوع وقواد وأغوات راكبين الخيل ذات السروج الذهبية، وعليهم لباسهم الفاخر[2].

---

1 -Venture De Paradis, « Alger au 18è siècle », présentation de Fagan (E.), in. R.A. n° 39, année 1895, p-p. 265-314.

2- مذكرات محمد الشريف الزهار، تقدم أحمد توفيق المدني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1974، ص. 36

ويتبين من خلال هذه المذكرات أن ظاهرة القرصنة وشراء الأسرى لم تعد تشكل في فترة حكم محمد بن عثمان باشا داي الجزائر إلا ثروة ضئيلة لكن الدخل من الخيرات الزراعية المتطورة كان كبيرا.

وقد مدح تيدنا الباي محمد الكبير على أساس أنه الشيخ الحاكم الجميل ذو اللحية البيضاء التي شبهها بالمرمر المصقول والدال على ذلك أنه تلقاه بودكبير، واشتهر بالحزم والإنصاف. إلى درجة مثلما يقول تيدنا يمكن القول إن الربع الأخير من القرن 18 يعد بداية لفترة نهضة جزائرية ولكن هيمنة القراصنة والجندية أدت إلى انتشار فوضى خطيرة. وكان باستطاعة هذه النهضة أن تنمو ذاتيا لو أن الظروف السياسية الخارجية كانت أفضل.

ومهما يكن فإن مثل هذه المذكرات تدعونا إلى طرح أسئلة كثيرة حول تاريخ الجزائر العثمانية. مثلما تساعدنا على وضع إجابات معينة عن أسئلة عالقة. مع التنبيه والتأكيد على أننا أخذنا من مذكرات تيدنا الجانب المتعلق بمغامراته في الجزائر، من دون التطرق إلى مذكراته في فرنسا وسويسرا.